لعبة التلقي والمخاطبة في مسرحية "عوم بحرك" لفرقة لامالِيف

انطلاقا من عنوان العرض المسرحي الجديد لفرقة "لامالِيف" الموسوم بـ"عوم بحرك" تتجلى طبيعة المبدأ الذي يحمله مؤلف المسرحية الأستاذ شفيق السحيمي، والمتمثل أساسا في السعي إلى أن يكون الخطاب موجها بصورة مباشرة -أي بدون لف ولا دوران- إلى المتلقي، نلمس هذا المبدأ على امتداد مختلف مشاهد المسرحية:

نزول الممثلين إلى حيث يجلس المتلقون.. إلقاء الورد فوق رؤوسهم.. انزواء بعض شخوص المسرحية في مكان متقدم من الخشبة وتسليط بقعة من الضوء على كل واحد منهم على حدة، إذ تتم مواجهة المتفرجين ومخاطبتهم.

إذن، وبخلاف العديد من العروض المسرحية. فإن استحضار المتفرج كان واردا لدى صاحب "عوم بحرك" حتى نهاية العرض، وهو ما ساهم في تيسير ذلك التجاوب المفترض بين الطرفين.

من الملاحظ مع الأسف الشديد، أن نسبة كبيرة ممن يحضرون إلى هذا العرض أو ذاك ما زالت لم تمتلك بعد أخلاقيات مشاهدة هذا الصنف من الفنون، وما نلمسه في معظم الأحيان هو أن ذلك الجمهور لا يعدو أن يكون جمهور كرة القدم أو الحفلات الغنائية الشعبية، وليس غريبا ولا مفاجئا بهذا الصدد أن يستحضر رئيس هذه الفرقة المسرحية المعطى المشار إليه ويتوجه إلى الحاضرين بأمرهم بإقفال هواتفهم النقالة وأنه (إذا تناهى إلى السمع رنينها، فإنه سيضطر إلى إيقاف العرض مهما يكن الأمر)..

ثمة مشاهد كثيرة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تتوجه إلى المتلقي بخطاب مباشر وليس

شفيق السحيمي (رئيس فرقة لامالِيف)

مجانبا للصواب، إذا قلنا إن الفصل الأول باكمله تقريبا سار على هذا النهج، حيث يكاد ينتفي الحوار بين الممثلين، وتم بذلك التركيز على مواجهة الجمهور وتوجيه خطاب إليه، تتفاوت المدة الزمنية لهذا الخطاب من ممثل إلى آخر، غير أن ذلك لم يخلق الملل كما هو مفترض في هذا الشكل من أشكال العرض المسرحي.

ولعل مرد ذلك في تقديرنا يرجع بالأساس إلى محمول تلك الأقوال في حد ذاتها، فقد كانت وطيدة الصلة بواقعنا الراهن، وهي إن كانت ذات بعد سياسي محض، فإنها لم تكن منغلقة على ذهن المتفرج العادي، ومما ساعد في ذلك عدم فلسفة الأشياء وعدم التكلف في التشخيص بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الإكسسوارات لتبليغ الفكرة: حمل صور لمجموعة من المناضلين الشهداء والمغيبين، حمل الشموع المشتعلة، القيام برقصات ذات إحالة على أسلوب الاحتجاج في افريقيا الجنوبية (نشير بهذا الصدد إلى أن هذا العرض المسرحي قد ساهم في تشخيصه إلى جانب المغاربة، بعض السينغاليين وهم -كما أوضح رئيس الفرقة- ليسوا ممثلين محترفين، بل إنهم لأول مرة يساهمون في أداء عرض مسرحي، وأن الاتصال بهم تم في الشارع حيث يمارسون التجارة على الرصيف.

لا للتصفيق

لماذا نصفق؟ إننا نصفق لكي نعبر عن اتفاقنا مع مخاطبنا، أو لنعلن عن إعجابنا بما قدمه لنا، أحيانا قد نصفق دون أن ندري السبب، وأننا فعلنا ذلك فقط لأننا لاحظنا أن الجالسين بجانبنا يقومون بالشيء نفسه.

إن التصفيق ذو ارتباط بعملية التلقي، فمن غير المألوف أن نصفق دون أن نتلقى أي شيء، وعندما يدعونا أحد مشاهد هذا العرض المسرحي إلى عدم التصفيق، يصل الخطاب المباشر إلى ذروته، ويبث في ذهن المتلقي مزيدا من الأسئلة، ومما لا شك فيه أن دور الفن ينبغي أن يكون على هذه الشاكلة، إذ أن المتلقي لا يأتي للحصول على حلول لمشاكله، بل لكي يذهب وهو محمل بعدة أسئلة. فمدلول التصفيق يتخذ في سياق المشهد المذكور آنفا بعدا آخر. إنه لا يحمل حقيقة واحدة، من ثم يستدعي الحذر، وعدم الوقوع في شرك بساطته، إذ يكفي امتلاك يدين للانقياد إلى عملية التصفيق!

لعبة التلقي والمخاطبة

لا يتعلق الأمر بتعدد الأدوار لدى الممثلين، ذلك أنه بالإضافة إلى المشاهد سالفة الذكر، يتأكد أن مؤلف هذا العرض المسرحي، كان حريصا على العزف على وترين بصفة خاصة: التلقي والمخاطبة، فمن خلال هذه اللعبة التي "سيفضحها" الإخراج خلال المشهد الذي عكس شؤون وشجون الانتخابات، حيث سيتحول الممثلون إلى متلقين، مع فارق بسيط وهو أنهم مارسوا عملية التلقي فوق الخشبة، غير أن ما سيزيد هذه الثنائية تشابكا والتباسا هو حين ننتبه إلى أنها تتفرع أكثر فأكثر، اعتبارا لأن في الطرف الآخر من الخشبة، حيث كان يقوم ثلاثة أفراد بتشخيص ملابسات المشهد المشار إليه، كنا نجد أنه من وقت إلى آخر كان يتحول أحد هؤلاء من متلق إلى خطيب، وقد استمر تبادل هذه الأدوار في كل مرة يأخذ أحدهما مكان الآخر، هذا دون أن نغفل الإشارة إلى أنه بموازاة مع كل ذلك، كان هناك تلق يتم من خارج الخشبة وهو الممارس من طرف الجمهور بطبيعة الحال.

أكتفي بالتركيز في هذه الورقة على تجليات التلقي والمخاطبة، كما استطعنا أن نعاينها خلال العرض الأول لهذه المسرحية التي قدمت ليلة 8 مارس الجاري في سياق اليوم العالمي للمرأة، صارفين النظر عن تفكيك مختلف الفصول المسرحية التي اتسمت بتعدد القضايا التي طرحتها، إيمانا بان ذلك يتطلب وقفة أخرى متانية، وذلك بعد أن تتيسر لنا مشاهدة هذا العرض المسرحي أكثر من مرة، علما منا بان العرض الذي ارتكزت عليه ورقتنا هاته لم يتم تشخيص نصه الكامل، حسب تأكيد رئيس الفرقة نفسه.

■ عبد العالي بركات